المحور الخامس: التشيع في أفريقيا الواقع والمعالجة

الورقة الثانية بعنوان:

تقييم جهود محاربة التشيع في إفريقيا

السودان نموذجاً

إعداد

الدكتور محمَّد كَرم الله محمَّد

مدير الدوائر العلمية بمجمع الفقه الإسلامي بالسودان

والدكتور عصام الدين أحمد محمد بابكر

نائب الأمين العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد

فإن قارة أفريقيا هي قارة الإسلام، إليها وفد المسلمون الأوائل لمَّا سامهم بنو جلدتهم من أهل مكة العذاب والإضطهاد...

وأفريقيا هي قارة الإسلام الأولى التي انتشر فيها كما لم ينتشر في قارة أخرى، وهي قارة الإسلام التي خرجت منها جحافل المسلمين تنشر نور العلم والإيمان والحضارة في أوربا..

ولكن هذه القارة عانت وما تزال تعاني من أدواء أقعدتها عن اللحاق بركب العلم والتطور، فأمست عبئا على العالم المتحضر الذي جثا عليها يوما بكلكله، ونهب ثرواتها، ثم استلب عقول أبنائها..

وهي أدواء طالما جاء الإسلام بالترياق المضاد لها، ليسوق الناس إلى رفاه الدنيا، وسعادة الآخرة..

تزخر القارة بالموارد والخيرات الكثيرة في ظاهر أرضها وباطنها، ولديها من فرص التطور والرقي الشيء الكثير.. ولكنها تعاني من ويلات القبلية والجهوية التي أفرز بعضها حروبا أهلية طاحنة..

وتعاني القارة السمراء من حملات التنصير التي تستهدف ثقافة الشعوب وخصوصياتها، وتلفت قلوب النخب المتعلمة للولاء لمن استعبد شعوب القارة يوما، واستولى على خيراتها..

تعاني القارة من خطر التشيع الذي يهدد السلم والأمن الاجتماعي لخطره الداهم على نقاء العقيدة أولا، ثم صفاء القلوب لمن سبق من المؤمنين ثانيا، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ولكنه تعدى ذلك بإشاعة الكراهية وإثارة الفتن والحروب وسط الشعوب الآمنة المستقرة، إذ من المقطوع به أن التشيع والتسلح قرينان، يمنع ظهور الثاني ضعف الأول، ومتى تمكن أهل الرفض والتشيع من بلد ولو كان قرية صغيرة حملوا السلاح على من لم ينتمِ إليهم وروعوا الآمنين..

تعاني القارة من خطر التطرف الفكري، الذي بدأ يجثم في صدر شعوب القارة ويشيع الإرهاب والقتل والتفجير والتكفير وترويع الآمنين..

كل هذه البلايا التي تعاني منها القارة، تقف حجر عثرة وحائط صد في طريق دعوة الإسلام التي تَحمل الرحمة للخلق وتُعظم الحق..

لهذه الأسباب حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان على عقد المؤتمر العلمي الثاني تحت عنوان: الدعوة الإسلامية في أفريقيا- الآفاق والتحديات، واتخذت له شعارا: الإسلام سلام وأمان لأفريقيا..

وجاء المؤتمر ليحقق الأهداف التالية:

١. بيان سماحة الإسلام ورحمة أهله بكل الناس.
٢. كشف المهددات الخارجية التي تعيق الدعوة الإسلامية وتعطل مسارها.
٣. كشف المهددات الداخلية التي تشوه الإسلام وتظهره بغير حقيقته.
٤. تنبيه القائمين على أمر الدعوة الإسلامية في أفريقيا للانتباه لما يحاك ضدهم.
٥. الاستفادة من أهل الخبرة والتخصص من داخل القارة وخارجها لوضع أسس علمية تنطلق منها الدعوة في مجاهل القارة...

ولقد عالج المؤتمر أدواء القارة في خمسة محاور جاءت كما يلي:

- الدعوة الإسلامية في أفريقيا الفرص والتحديات
- الصراعات القبلية والجهوية وأثرها في السلم الإجتماعي.
- التنصير في أفريقيا الأهداف والوسائل وسبل المعالجة.
- جذور ومظاهر التطرف وأثره في الدعوة والسلم الاجتماعي
- التشيع في أفريقيا الواقع والمعالجة.

واحتوت فعاليات المؤتمر على الأوراق العلمية المحكمة، والدورات المتخصصة والمحاضرات وخطب الجمعة في عدد من مساجد العاصمة الخرطوم..

وقد شهد المؤتمر مشاركة العديد من المؤسسات والمنظمات الأفريقية والشخصيات التي لها اهتمام بالدعوة في القارة.

أخيراً: نتوجه بالشكر الجزيل لكل من شارك بتقديم الأوراق أو مناقشتها، أو فعاليات البرنامج المصاحب..

ونخص بالشكر اتحاد علماء أفريقيا، والاتحاد العالمي للدعاة المسلمين، وإدارة جامعة أفريقيا، وكل المؤسسات التي ساهمت في انتظام فعاليات المؤتمر..

كما نشكر الدكتور عمر محمد عبد الرحيم شبيعان الذي تولى مهمة تحكيم أوراق المؤتمر..

والحمد لله رب العالمين

مقدّمة

الحمد لله الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى، خلق الإنسان من طينٍ، وهداه النجدين - طريق الخير وطريق الشر - فابتلاه في ذلك إلى حينٍ، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء والدين .

أما بعد

فهذه ورقة في تقييم الجهود المبذولة لمحاربة التشيع في السودان، كتبتها بطلب من الإخوة والمشايخ المنظمين للمؤتمر العلمي الثاني لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان، وقد أجبت طِلْبَتَهم حفظاً للحقوق، وتعاوناً على البر والتقوى، رجوت في ذلك أن يكون عملاً خالصاً لوجه الله العليم الخبير، موصلاً إلى المقصود من الاستكتاب في هذا الموضوع " تقييم جهود محاربة التشيع في إفريقيا - السودان نموذجاً ".

وقد أتت مادة هذه الورقة في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، أما التمهيد فقد جعلته لبيان سنيَّة السودان وطريان التشيع ، وأما المبحث الأوَّل فهو في بيان أسباب دخول التشيع في السودان، تلاه المبحث الثاني الذي أتى لبيان الجهود الحكومية لمحاربة التشيع في السودان وآثارها، ثمَّ المبحث الثالث لبيان الجهود غير الحكومية لمحاربة التشيع في السودان وآثارها، ثم جاء المبحث الرابع الذي جعلته في الموازنة بين أسباب التشيع وجهود محاربته وآثارها. وختمت البحث بذكر النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى العلي القدير أن يرزقنا القول السديد، وأن يوفقنا إلى العمل الرشيد، إنَّه خير من سئل وأكرم من أعطى...

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد
في بيان سُنيَّة السودان وطريات التشيُّع عليه

وتحته مطلبان:

المطلب الأوَّل: بيان سنيَّة السودان
المطلب الثاني: بيان طريان التشيع على السودان

المطلب الأول: بيان سنيَّة السودان.

من جُمَلِ التَّعريف بالسودان التي وردت في بوابة حكومة السودان الإلكترونية -، تحت عنوان: الإسلام في السودان؛ [دخل الإسلام إلى السودان علنا في عهد عثمان بن عفان ووالياه على مصر عمرو بن العاص]، وهذه الجملة تشير إلى القول الصواب في زمان وكيفية دخول الإسلام إلى السودان[١]، وهو المحفوظ المخطوط في دواوين التاريخ، فإنَّ أوَّل محاولة لفتح السودان ودخول المسلمين كانت في ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم لما عزله وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه سنة سبع وعشرين من الهجرة أمره بالتقدم إلى بلاد إفريقيا، فوقع الصلح في تلك الحقبة بين النوبة والمسلمين في الاتفاقية التي عرفت بـ " البقط " ، وهي التي مهدت لانتشار الإسلام في السودان[٢]، فهذا التاريخ يشهد بدخول الإسلام إلى السودان قبل ظهور التشيع والرفض كفرقة لها أصولها المذهبية، ناهيك عن مراحله التي مرَّ بها، وحدوده الزمانية والمكانية قبل الانتشار والتبشير به.

والذي يهمنا من ذلك؛ أنَّ السودان بلدٌ سنيٌ منذ دخول الإسلام وروده إليه، وأن التشيع طارئ على أرضه كطريانه في الملة بأصوله ومعتقداته، ومن هنا فإنَّ كل ما يصدر من بيانات وقرارات لبيان هوية السودان الإسلامية السنيَّة؛ إنما يصدر تأكيداً لا تأسيساً .

المطلب الثاني: بيان طريان التشيع على السودان

تُظهر الجمل المتقدِّمة في المطلب الأوَّل أنَّ التشيع في السودان حادثٌ وطاريء، بل ويظهر أنَّ حدوثه تأخر كثيراً عن دخول الإسلام إلى السودان. إلا أنَّ الشيعة تزعم أن التشيع في السودان وجوده متقدِّم، وهو الأصل في معتقدات وثقافة المجتمع السوداني، أذكر من ذلك ما ورد من مقالات عن شيعة السودان في موقع مركز الأبحاث العقائدية ، تحت عنوان [شيعة السودان]. وهو مركز شيعي تم إنشاؤه في العام ١٤١٩هـ للدفاع عن المذهب الشيعي في العالم ونشر عقائده حيث أُسس بإشراف ودعم السيد جواد الشهرستاني، حيث ورد تحت العنوان المذكور؛ ادعاءان :

أولهما: أنَّ التشيع في السودان قديمٌ بقدم دخول الإسلام . حيث ورد ما نصُّه : (إن التشيع في السودان يجب أن يُقرأ تأريخه - من قبل من يتصدى لبيانه - من عدة جوانب . أولها الدخول الأول للتشيع إلى السودان، وهذا قديم بقدم دخول الإسلام للسودان) [٣]، وهذا الادعاء مردود بما تقدَّم في المطلب السابق " سنيَّة السودان " ببيان زمان وكيفية دخول الإسلام إلى السودان.

ثانيهما: أن التشيع دخل تحت ستار التصوُّف. حيث ورد مانصُّه: (اضطر السادة الأشراف إلى التقية في تعاملهم مع الناس والطلاب، بشكل لم يستطيعوا معه القول لأبنائهم أننا شيعة، وصاروا قليلاً قليلاً وتحت التقية، رجالات طرق صوفية يمارسون عباداتهم على نطاق ضيق، ويسرون رؤاهم عن عامة الناس، ويمارسون تبليغ الدين الحق من وراء حجاب التصوف وهذا التبليغ هو الذي جعل السودانيين محبين لأهل البيت يتسمون بأسمائهم ويمدحونهم في أشعارهم ويتبركون بآثارهم، وكل مظهر يدل على وجود تشيع بالسودان إنما هو ببركة جهود أُولئك الكرام) [٤]، وهذا القول لا يمكن القبول به على إطلاقه، وذلك لأن التصوف في السودان -مع ما وقع فيه من مخالفات في الأصول والفروع، ومع وجود وجوه الصلة والتشابه بينه وبين التشيع[٥]- لا يزال معظماً للقرآن الكريم من حيث

---

(١) بخلاف ما اشتهر على ألسنة كثيريين من أنَّ الإسلام دخل إلى السودان عن طريق الطرق الصوفية، فإن دخولها إلى السودان كان متأخراً عن ذلك، في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري بدخول الطريقة القادرية على يد تاج الدين البهاري الذي قدم من العراق، وقد أرخت لذلك كتب التصوف وكتابات المتصوفة. انظر على سبيل المثال: طبقات ود ضيف الله (ص) .

(٢) انظر على سبيل المثال: فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٣٤)، البداية والنهاية لابن كثير (١٧٠/٧) .

(٣) مركز الأبحاث العقائدية ، تحت عنوان [شيعة السودان]، www.aqaed.com .

(٤) نفس المصدر .

(٥) هناك عدد معتبر من البحوث التي كتبت لبيان الصلة والتشابه بين التصوف والتشيع، منها : كتاب: الصلة بين التصوف والتشيع الدكتور / كامل مصطفى الشيبي، ورسالة دكتوراه للباحث : فلاح إسماعيل أحمد، بعنوان : العلاقة بين التشيع والتصوف، وكتاب: بين التصوف والتشيع تأليف: السيد هاشم معروف الحسني ، وكتاب : طائفة الختمية وصلتها بالشيعة، تأليف د : احمد محمد احمد جلي، هذه الصلة هي التي جعلت

الجملة قائلاً بتمامه وعدم نقصانه، مترضياً عن الشيخين أبي بكر وعمر، مقرَّاً بصحة خلافتهما وما ثبت من فضائلهما، ومقراً بفضائل أمهات المؤمنين، لا يقبل الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، فضلاً عن رميهم بالردة والشهادة لهم بالنار، ولا يزال مقرَّاً - من حيث الجملة - بصحة ما ورد في كتب السنن والصحاح التي تلقتها الأمة بالقبول، وغير ذلك كثير مما لا يتفق مع أصول التشيع والرفض.

☜ دخول التشيع السودان بعد الثورة الإيرانية الخمينية..

ليس من المجازفة القول بأن التشيع بأصوله المنهجية لم يعرف في السودان إلا بعد نجاح الثورة الإيرانية وتبني الخميني ودولته تصدير الثورة والتشيع إلى العالم، فقد كانت أوَّل بادرة للتأثير الإيراني الشيعي داخل البلاد بصورة غير رسمية ما وقع في العام 1979م، وكان ذلك على يد الحركة الطلابية السودانية التي احتفت برسالة بعث بها الخميني إلى الطلاب السودانيين، حيث شهد السودان بعدها تظاهرات مؤيدة للثورة الإسلامية الإيرانية. تلتها الفترة التي توثقت فيها العلاقة بين السودان وإيران، ونشطت فيها السفارة الإيرانية لتطوير العلاقة السودانية الإيرانية، والعمل على فتح المراكز الثقافية الإيرانية ورعايتها[1]، وقد وافق ذلك عدد من الأسباب ساعدت على انتشار التشيع وازدياد عدد المعتنقين لمذهب الشيعة[2].

الدولة الصفوية الإيرانية تتجه إلى الطرق الصوفية والتقرب من قادتها للتأكيد على القدر المشترك، والتذريع لنشر التشيع بالبلاد، وقد استطاعت استمالة البعض حتى كتب كتابات واتخذ مواقف تخدم المد الشيعي .

(1) انظر كتاب: تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني (ص ٧) الصادر عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، وكتاب: تصاعد المد الإيراني في العالم العربي للسيد أبي داود (ص ٣١٧)، وبحث: معضلات الأنشطة الثقافية الإيرانية في إفريقيا: دراسة حالة السودان لمعصومة نصيري- نشر : دورية أبحاث إفريقيا، السنة الأولى، العدد الثاني (ص ٥٥-٩٢).

(2) تقدر حصيلة المد الشيعة في السودان ما بين ٥ آلاف إلى ١٣ ألفاً من سكان السودان، وجميع التقديرات التي صدرت لا تعتمد على إحصاء دقيق. انظر: تقرير مركز الجزيرة للدراسات [السودان وإيران: تبعات انهيار التحالف] نشر بتاريخ الاثنين ٢٢ سبتمبر ٢٠١٤م.

المبحث الأوَّل

أسباب دخول التشيع في السودان

وتحته تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: سياسات الحكومات المتعاقبة
المطلب الثاني: المناهج الفكرية التي تؤصل لعدم التفريق بين السنة والشيعة
المطلب الثالث: ثأثير الدول التي ترعى التشيع

تمهيد

كل ظاهرة لها أسبابها التي أدَّت إليها، ويعتبر من الأسس المهمَّة التي لا غنى عنها في علاج الظواهر ومحو آثارها؛ معرفة الأسباب التي أدَّت إليها، ويعتبر مدى النجاح في العلاج متوقفاً على معالجة تلك الأسباب، مع محو الآثار .

إنَّ تحديد أسباب انتشار التشيع بالبلاد، هو أحد مرتكزات التقييم لجهود محاربة التشيع، إذ لا بدَّ لتلك الجهود أن تسعى لإزالة تلك الأسباب أو التقليل منها، لأنَّ الأسباب كما هو معلوم يلزم من عدمها العدم، ومن وجودها الوجود، فلن تفلح الجهود المبذولة في الوصول إلى سلامة المجتمعات من التشيع مع بقاء أسبابه، ووسائل انتشاره، وكذلك لن نستطيع الحكم على الجهود المبذولة لمحاربته دون النظر في معالجتها لتلك الأسباب.

المطلب الأوَّل: سياسات الحكومات المتعاقبة

ليس من الغريب أن تنشط السفارة الإيرانية لتطوير العلاقة السودانية الإيرانية لتحقيق أغراضها من تصدير الثورة الإيرانية وتوسيع دائرة المد الشيعي، فكل دولة تسعى عبر علاقاتها "الدبلوماسية" لتحقيق مصالحها الآنية والمستقبلية، ولكن كان من الغريب جدَّاً أن تتعامل السلطات السودانية - في حقب مضت - مع تلكم الأغراض الإيرانية الشيعية بنوعٍ من التفريط دون نظر في حقيقة التشيع، أو إلى العواقب والمآلات المترتبة على انتشاره.

إنَّ أوَّل وجود دعوي منظَّم للتشيع يعود إلى فترة الثمانينات من القرن العشرين، فأوَّل مركز ثقافي إيراني بالخرطوم قد أُنشئ عام ١٩٨٨م في عهد رئيس الوزراء الصادق المهدي زعيم حزب الأمَّة، وكان الصادق المهدي قد أعاد علاقة السودان بإيران بعد وصوله إلى الحكم في أقل من عام واحد، في سنة ١٩٨٦م[١] وهنا يثور تساؤل مهم هو: هل لحزب الأمة علاقات ما وبأي شكل من الأشكال مع الشيعة في إيران؟؟؟[٢].

وبعد ثورة الإنقاذ ووصولها إلى حكم البلاد شهدت البلاد نشاطًا للمراكز الثقافية الإيرانية وحركة التشيع تبعاً لسياسات الدولة تجاه إيران، حيث تم افتتاح المزيد من المراكز الثقافية، وامتدَّ نشاطها من وسط السودان، إلى نهر النيل، وكردفان، صاحب ذلك نشاطٌ شيعي لم يكن معهوداً بالبلاد بترتيبٍ ودعمٍ من الحكومة الإيرانية التي نظمت فيه جهود العاملين بالسودان لنشر التشيع[٣].

وقد ساعدت على مضي ورسوخ هذه السياسة ما آلت إليه العلاقات الخارجية للسودان في عهد الإنقاذ، والعقوبات التي فرضت على البلاد، وما قابل ذلك من الدعم الإيراني المادي والمعنوي الذي أسهم في سد حاجة البلاد في علاقاتها الخارجية وحروبها الداخلية[٤].

المطلب الثاني: المناهج الفكرية التي ترى عدم التفريق بين السنة والشيعة

وجد في السودان من يرى أن ليس ثمة فروقا بين السنة والشيعة إلا ما كان من خلافات سياسية تاريخية عفا عليها الزمن، وأن حاضر الأمة ليس مجبرا لتحمل جريرة ما فعله الأولون، ولذلك حرصوا عد مد جسور التواصل مع الدولة الرافضية في حين اهتبلت الأخيرة الفرصة ووجدتها سانحة ممتازة للعمل على استقطاب وتجنيد الكوادر الشابية الذين يرسلهم القادة من أصدقائهم في السودان وذلك حتى يجدوا مطيء قدم في هذه البلاد السنية التي تعد مدخلا لما بعدها من دول أفريقيا، من هذه الجهات التي كانت ترى هذا الرأي:

---

(١) انظر: لماذا يرغب السودان في تحجيم علاقته بالسودان - مجلة السياسة الدولية أبريل ٢٠١٦م، المهدي ومحاولة الظهور من شرفة إيران- المركز السوداني للخدمات الصحفية فبراير ٢٠١٦م، الصادق المهدي وإيران-صحيفة الانتباهة بتاريخ الثلاثاء ٢/فبراير ٢٠١٦م.

(٢) إن المتتبع لمواقف الصادق المهدي بالشيعة والدولة الإيرانية على وجه الخصوص؛ يجد صلة ورباطاً وثيقاً يتناسب مع هذا العمل الذي تمَّ في عهده. فمنذ العام 1983م قطع السودان علاقته بإيران وبدأ الكلام عن أن الحكومة السودانية سترسل قوات الى العراق تسانده في الحرب التي يخوضها في مواجهة إيران، فسارع حزب الأمة بالإعلان عن رفضه لهذا العمل، وبالأمس لما قطع السودان علاقته بإيران وقرر المشاركة في عاصفة الحزم؛ خرج الصادق المهدي ببياناتٍ وتصريحاتٍ تدين مشاركة السودان بقواته المسلحة في عاصفة الحزم، ويبعث برسالة للرئيس الإيراني حسن روحاني مهنئاً على بدء تنفيذ اتفاقهم مع ممثلي الأسرة الدَّولية حول البرنامج النووي، مادحاً للسياسة الإيرانية، والرجل لم يزل حاضراً في المحافل الشيعية الإيرانية الدولية، ولا يزال مدافعاً منافحاً عن الشيعة ومواقفهم الدولية، مبرراً لها، منكراً على المخالفين لها...

(٣) انظر: معضلات الأنشطة الثقافية الإيرانية في إفريقيا: دراسة حالة السودان لمعصومة نصيري- نشر : دورية أبحاث إفريقيا، السنة الأولى، العدد الثاني (ص ٥٥-٩٢)، ومركز الجزيرة للدراسات studies.aljazeera.net .

(٤) هذا الدعم هو مهر استباحة البلاد أمام التشيع والرفض.

الدكتور الترابي وآراؤه في الثورة الإسلامية الإيرانية وفي المذهب الشيعي.

فقد كانت لآرائه في هذا الشأن دورٌ كبيرٌ في التأسيس لهذا النحلة بالبلاد وترسيخها، فقد كان من المبادرين بتأييد الثورة الإيرانية والثناء عليها وعلى قائدها "الخميني"، والشواهد على ذلك كثيرة في محاضراته ومؤلفاته ولقاءاته عبر وسائل الإعلام والنشر المختلفة. من ذلك قوله : (وحركة الإسلام شهدت تجارب شتى في التجديد والمجادلة بالحسنى، وفي التّعَرض للعدوان والفتنة من جرَّاء ذلك، وهي اليوم تشهد تجارب جديدة في ثورة إيمان في النفوس تنقلب ثورة قوة في الواقع، ولعلَّ أروع نماذجها في الثورة الإيرانية الإسلامية)[1]، وفي يقول عن التباين بين الشيعة والسنة: (ليسَ صحيحاً أنَّ التراث السني والشيعي مُتباينان هذا التباين، فكتاب الشوكاني دليل لنا رغم أنه شيعي زيدي، وما يجمع المسلمين أكثر مما يُفرقهم، فما يجمعهم ٩٥% وما يفرقهم ٥%)[2] ، وهذا الإطلاق فيه مجازفةٌ، يدرك ذلك كل مطلع على أصول وفروع المذهبين " السنِّي، والشيعي " .

منهج التقريب بين السنَّة والشيعة .

أصحاب هذا المنهج لا ينكرون وجود فوارق بين السنة والشيعة في الأصول والفروع، ولكنَّهم رأوا إمكانية التقريب للشقة، والتقليل من المفاسد التي وقعت بسبب القطيعة بين السنة والشيعة، دون إصلاح أو تصحيح للمذهبين أو أحدهما، وهو منهج أدرك كل بصير بأصول التشيع فساده منذ نشأته والدعوة إليه، لأنَّه لا يمكن أن يؤول إلى واقع عملي إلا بتعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم العمل على تنزيه الديانة وصيانتها من التبدِّيل والتحريف، أو على الجمع بين الضدين، والجمع بين النقيضين. وقد أقرَّ كثير من أصحاب هذا المنهج بعد جهد كبير وزمان طويل بعدم إمكانية التقريب .

وقد ساعد على تقبل هذه المناهج جهلُ كثيرٍ من المسلمين بحقيقة الفرق المخالفة للإسلام. فكثير من المسلمين بل أكثرهم ليس له معرفة كافية بأصول الفرق المنتسبة إلى الإسلام وهي تخالفه، وقد يرى كثيرون أن الكلام عن الفرق المخالفة لمنهج الإسلام في العلم والعمل هو من فضول القول، ومما لا تدعو إليه ضرورة ولا حاجة، فكان ذلك سبباً في الإعراض عن دراستها، أو الاستماع لمن يعرّف بها، بل ربما نجد بعضهم ينتقص من يتكلم عن فرق أهل البدع والأهواء، ويرى ذلك ضربا من إضاعة الوقت فيما لا يجدي..

المطلب الثالث: تأثير الدول التي ترعى التشيع

الشعارات التي رفعتها الثورة الإيرانية

من تلك الشعارات؛ معاداة أعداء الإسلام والمسلمين، ومحاربة الطغيان الدَّولي، والانتصار لضعفاء المسلمين، والدعوة إلى توحيد المسلمين وجمع كلمتهم، ونحو ذلك من الأمور التي تميل إليها أفئدة المؤمنين في كافة البلدان.

فعندما جاءت ثورة الخميني افتتن بها كثير من الإسلاميين، وظنَّ بعضهم أنَّها ستعيد لهم عهد الخلفاء الراشدين، وبطولات الفاتحين، فسارعوا بتأييدها، وبالغت المجلات الإسلامية في وصف الثورة وشخصية الخميني بالقدر الذي يرهب العقل ويرهق الذهن من دون النظر إلى الحقائق المجرَّدة، وصارت تلك المجلات وكتابها كحاطب ليل أو كغائص في سيل، حتى نشروا للشيعة الرافضة كل ما يريدون من عقائدهم وآرائهم وأشعارهم التي تدعو إلى التشيع والرفض، والتي تلقتها العامة والخاصة بلا نكير، لدرجة ان صار القارئ لا يميز بين كاتب سني وآخر رافضي[3].

لقد كانت تلك الشعارات جزءاً من سياسة الخميني في تصدير الثورة الإيرانية، فقد جاء في كتاب: تصدير الثورة الإيرانية كما يراه الإمام الخميني الذي صدر عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ما نصُّه : (من وجهة نظر الإمام بإمكاننا أن نكون نموذجاً جيداً للشعوب إذا ما شعرت هذه الشعوب بأنَّ ثمة إحساس بالمسؤولية

---

(1) كتاب: الحركة الإسلامية والتحديث للترابي (ص: ٧٦).

(2) لقاء في جريدة المحرر بتاريخ ١٤١٥/٢/٢٤هـ.

(3) انظر: الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية "وجاء دور المجوس"، تأليف: عبد الله محمد الغريب (ص ٥ - ٦).

الثورية تجاه قضاياهم ومعاناتهم. من هنا وكما هو واضح إن مخاطبي الثورة الإسلامية هم الشعوب، وإنَّ الثورة تهدف إلى توعيتهم، وهنا يكون مفهوم تصدير الثورة)[1].

وقد ظل كثير من الناس منخدعاً بتلك الشعارات إلى أن زالت تلك الأغلفة بالأحداث العالمية والإقليمية، التي أظهرت مهادنة الشيعة لأعداء الملة والدين، وغدرهم وفتكهم بالمسلمين.

نتاج الابتعاث بغرض التعليم والتدريب.

وقد اعترف الشيعة بأنَّ الابتعاث إلى إيران وسوريا هو أحد أسباب نشر التشيع بالسودان [2]، وهذا ملاحظ مشاهد في كثير من المبتعثين للخارج، إذ نجد كثيرين ممن ابتعثوا للغرب عادوا مشبعين بثقافته مدافعين عنها، بل داعين إليها، فما بالك بمن ينشأ على العاطفة الدينية الجياشة دون علم شرعي يهديه للحق والصراط المستقيم، فيبتعث إلى بلد يظنه إسلاميا، فعندما تقدم له معلومات دينية يظنها الحق الذي لامرية فيه، وشيئا يعرض الشاب الغض لغسل دماغ يغير مفاهيمه فيرجع سابا لعقائد قومه مدافعا عن عقائد غريبة على أهله ظنا منه أنها الحق الصريح...

عمل الملحقيات والمراكز الثقافية الإيرانية

وهي أنشئت لنشر ورعاية المذهب الشيعي، وتصدير الثورة الإيرانية، وقد اتخذت هذه المراكز عدة وسائل في نشر التشيع؛ منها :

١- التذرع بحبِّ آل البيت رضي الله عنهم. وهو المدخل إلى التشيع لدى كثير من المبشرين به، يليه (مظلومية آل البيت)، وهي المقدِّمة الثانية التي ينتج عنها التشيع غالباً لدى المغرَّر به.

ويحسن التنبيه هنا؛ على أنَّ المبشرين بالتشيع في السودان قد استغلوا حرص كثيرٍ من زعماء الطرق الصوفية على الانتساب لآل البيت؛ في طرح قضيتهم ومبدأ دعوتهم عند حرف هذه الجملة (محبة آل البيت)، ومحاولة استمالتهم بالالتقاء عند محبة آل البيت ونصرتهم، وإظهار مواطن الالتقاء بين التصوف والتشيع، وقد تذرعوا بقربهم من المشايخ والزعماء إلى الوصول إلى أتباعهم ومريديهم، وسُمح لهم بإلقاء المحاضرات في مساجدهم وأماكنهم[3].

٢- الإغراء المادي وشراء الذمم، واستغلال ذوي الفقر والحاجة. فالسودان بلد مرَّت به كثيرٌ من الابتلاءات، التي تولد عنها شيٌ من الجوع والخوف، وهو واقع قد لا يصبر فيه البعض على المبادئ والقيم التي يحملها.

٣- نشر الكتب والمقالات التي تناولت الفتنة وما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم. إذ الخوض فيما دار بين الصحابة يؤول إلى الرفض، والوقوع في بعضهم، والتنقص من قدرهم وفضلهم.

---

(١) تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني (ص ٧).

(٢) انظر: مركز الأبحاث العقائدية ، تحت عنوان [شيعة السودان] www.aqaed.com.

(٣) انظر كتاب: تصاعد المد الإيراني في العالم العربي (ص ٣١٧).

المبحث الثاني

الجهود الحكومية لمحاربة التشيع في السودان وآثارها

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: مواقف حكومة مايو وأثرها في محاربة التشيع
المطلب الثاني: مواقف حكومة الإنقاذ المتأخرة وأثرها في محاربة التشيع
المطلب الثالث: دور مجمع الفقه الإسلامي السوداني في محاربة التشيع

المطلب الأوَّل: مواقف حكومة مايو وأثرها في محاربة التشيع

في العام ١٩٧٤م افتتح السودان سفارته في طهران، وكان ذلك في فترة حكومة الرئيس جعفر محمد نميري في ظل تلاقي النظامين نظام الشاه في إيران، ونظام مايو في الخرطوم، إلا أن العلاقات بين الدولتين انحسرت بعد نجاح الثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩م، فلم يكن الرئيس نميري مرحباً بالثورة كما رحَّب بها كثيرون وافتتنوا بشعاراتها، تلا ذلك تأييد السودان للعراق في حربه ضد إيران، وقطع علاقته بإيران، وميله إلى موقف أنور السادات الذي استضاف شاه إيران الهارب[١].

ربما لم تكن مواقف الرئيس نميري ونظام مايو تجاه إيران قد انطلقت من منظور ديني إسلامي، أو عن معرفة دقيقة بخطر التشيع على العالم؛ لكنها في الجملة وبالنظر إلى مآلها نجد لها أثراً مبكرا في دفع ضرر الثورة الإيرانية التي قرر قائدها تصديرها إلى العالم منذ قيامها ونجاحها، فوقوف نظام مايو مع العراق ضد إيران في حربه؛ يقرر اعتداء إيران على العراق، وهو أمرٌ له آثاره على الرأي العام تجاه إيران وثورتها، يضاف إليه أنَّ انقطاع العلاقات جعل هناك حقبة زمنية طويلة خالية من التشيع إلى حين عودتها.

المطلب الثاني: مواقف حكومة الإنقاذ المتأخرة وأثرها في محاربة التشيع

بعد صلة وثيقة بين حكومة السودان في عهد الإنقاذ والحكومة الإيرانية راعية المد الشيعي في العالم، والتي امتدت منذ قيام ثورة الإنقاذ في العام ١٩٨٩م؛ ظهرت بعض المواقف التي تدل على تغيُّرٍ في تلك العلاقة وطبيعتها، والتي كان من بينها موقفان مؤثران في حركة التشيع بالبلاد هما:

أوَّلاً: إغلاق المركز الثقافي الإيراني، وفروعه وطرد الملحق الثقافي الإيراني

في الثاني من سبتمبر من العام ٢٠١٤م ؛ أصدرت وزارة الخارجية السودانية بياناً أعلنت فيه إغلاق المركز الثقافي الإيراني وفروعه في السودان، مع إمهال الملحق الثقافي الإيراني ومعاونيه مدة اثنتين وسبعين ساعة لمغادرة البلاد. لقد نزل هذا الموقف في قلوب المهتمين بالدعوة والمشتغلين بها برداً وسلاماً، واستبشر الناس بذلك خيراً، وذلك لأنَّ الموقف يدل على تغيّر سياسة الحكومة نحو الشيعة والتشيع، وهو الأمر الذي كان يؤرق الغيورين على هذا الدين القويم، وعلى عقائد المسلمين.

ثانياً: قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران

وقع ذلك في مطلع العام ٢٠١٦م الجاري، حيث أصدرت وزارة الخارجية السودانية بياناً في يوم الاثنين ٤ يناير أعلنت فيه قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تضامناً مع المملكة العربية السعودية في مواجهة المخططات الإيرانية.

يضاف إلى ذلك مجهودات سابقة للقرارين وأخرى بينهما تتجه إلى محاربة المد الشيعي بالبلاد، أذكر منها:

١. تنقيح المناهج الدراسية التي تروّج للتشيع ضمن مقرر الدراسات الإسلامية والمطالعة والأدب بالمرحلة الثانوية، عبر المركز القومي للمناهج والبحث التربوي " بخت الرضا"..
٢. منع النشر أو الترويج لكتب الشيعة، والعمل على إبعادها وإخراجها عن المعارض والأسواق، فقد أغلقت الحكومة جناح الكتب الإيرانية بمعرض الكتاب الدولي بالخرطوم أكثر من مرَّة ابتداءاً من العام ٢٠٠٦م، كما عملت على مصادرة الكتب التي تدعو إلى التشيع وتمنع نشرها عبر أجهزة الرقابة والمجلس القومي للمصنفات الأدبية والفنيَّة .

المطلب الثالث: جهود مجمع الفقه الإسلامي السوداني في محاربة التشيع

تأتي أهمية مجمع الفقه الإسلامي في هذا المبحث من جهتين اثنتين:

أولاهما: أنَّه المرجعية العلمية الفقهية الرسمية للبلاد، فهو الجهة المنوط بها بيان المسارات الصحيحة من منظور شرعي فقهي التي ينبغي أن تسير عليها الدولة والمجتمع.

ثانيها: مواقفه المعتبرة التي صدرت عنه تجاه التشيع، وإيقاف المد الشيعي.

---

(١) ينظر: لماذا ترغب السودان في تحجيم علاقتها بإيران - مجلة السياسة الدولية - أبريل ٢٠١٦م، وكذلك: السودان وإيران؛ تبعات انهيار التحالف- مركز الجزيرة للدراسات.

☜ استتابة النيَّل أبو قرون.

وقع ذلك في العام ٢٠٠١م، بعد أنَّ نشر المذكور رسائل تعرف ب " رسائل أحبابي " وقد أساء فيها الأدب مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن جميعاً، ويعتبر هذا العمل من المواقف الجريئة بالنظر إلى واقع المجتمع السوداني الذي أسبغ على شيوخ الطرق الصوفية قداسة لا يرفضها أحد، بل يعتبر عامة أتباعهم أن المساس بهم هو مساس بدين ربِّ العالمين، والنيل أبو قرون هو أحد شيوخ الطرق الصوفية المشهورين، وله "مسيد " وأتباع من عهد والده وأجداده الأقدمين.

☜ إصدار البيانات التي تحذر من المذهب الشيعي ووسائل انتشاره.

من ذلك بيانه في العام ٢٠٠٦م، بشأن جناح الكتب الإيرانية بمعرض الخرطوم الدولي للكتاب، والذي وافقه الإجراء الرسمي بإغلاقه، وبيانه في العام ٢٠١٣م الذي أكد على سنيَّة الدولة وواجب الحفاظ عليها، ودعا فيه إلى تضافر الجهود لمحاربة التشيع، كما دعا إلى سنِّ القوانين التي تجرِّم سب الصحابة، وكذلك بيانه في العام ٢٠١٤م المؤيد لموقف الحكومة من المراكز الثقافية الإيرانية.

☜ السعي لإقناع مصادر القرار السياسي بخطورة المد الشيعي وضرورة أخذ التدابير التي تحد منه.

☜ التقدُّم بمشروع قانون يتضمن عدداً من المواد التي تجرِّم وتعاقب من سبِّ الصحابة وآل البيت وأمهات المؤمنين.

☜ إقامة ندوات تكشف خطر التشيع على المجتمع السوداني، وأثره على المعتقد، وعلى وحدة الأمة .

المبحث الثالث

الجهود غير الحكومية لمحاربة التشيع في السودان وآثارها

المطلب الأوّل: جهود الجماعات والمنظمات والمؤسسات الدعوية

المطلب الثاني: جهود المؤسسات التعليمية

المطلب الثالث: جهود الإعلام غير الحكومي

المطلب الأوَّل: جهود الجماعات والمنظمات والمؤسسات الدعوية.

حرصت الجماعات الدعوية على إقامة البرامج العلمية والدعوية التي تكشف حقائق الرافضة وتبين خطورة المد الرافضي، ونحسب أن هذه الجهود كان لها أكبر الأثر في تبصير الجهات الرسمية بخطورة الرافضة على السلم والأمن الاجتماعي، فيما يلي استعراض موجز لأهم ما قامت به الجماعات والمنظمات:

أولا: جماعة أنصار السنة المحمدية.

تعتبر جماعة أنصار السنة المحمدية أول من حذر من الخطر الرافضي في البلاد، فمنذ قيام ما يعرف بالثورة الإيرانية حرصت الجماعة على التحذير من خطر الإنجرار وراء العواطف الجياشة، كما حرصت الجماعة على محاربة كافة أشكال الانحراف عن الدين، كونها جماعة إصلاحية هدفها استقامة المجتمعات على الجادة..

ولما كان التشيع من المخاطر التي تنافي الدين الصحيح؛ فقد حرصت الجماعة على التحذير من النشاط الشيعي منذ بواكير مشروع تصدير الثورة الذي تبنته دولة إيران، فكانت الجماعة أول من بدأ التحذير من التشيع، في حين كان الناس يظنون أن المشروع محض ثورة ضد الظلم والاضطهاد، فكانت الجماعة لحصافة قادتها واستشعارهم لما وراء الأكمة، كانت تقيم الأنشطة في الجامعات والمساجد والساحات العامة محذرة منه، وازدادت حركة التحذير والتنبيه لما اشتد النشاط الرافضي الذي يبدو أنه اتخذ من دولة السودان منطلقا لتشييع قارة أفريقيا. واتخذت جهود الجماعة بعدا علميا عميقا بعد المؤتمر العلمي الأول الذي عقد خصيصا للتدارس والتحذير من المد الرافضي المتنامي، فكان ذلك المؤتمر المنطلق الذي حرك الساحة الدعوية في السودان، فانطلقت بعده كل الجماعات والجهات الدعوية تقيم المؤتمرات والندوات، وتصاعدت وتيرة البرامج من كل الجهات حتى توجها مجمع الفقه الإسلامي ببرنامج كانت خلاصة علمية لجهود كل الفئات والمؤسسات..

وقد قامت الجماعة بتخصيص إدارة معنية برصد ومتابعة النشاط الرافضي ومن ثم تحديد البرامج المناسبة لمواجهته، كما حرصت الجماعة على التعاون مع كل الكيانات الدعوية العاملة، خاصة في مجال تدريب وتأهيل الدعاة، فما من برنامج علمي يشارك فيه علماء من خارج البلاد إلا وخاطبت الجماعة الكيانات القائمة لإرسال دعاتها للاستفادة من البرامج..

واعتنت أمانتا التعليم العام والتعليم العالي بالبرامج الدعوية التوعوية في المدارس والجامعات، كما تعاونت مؤسسات الجماعة الإعلامية مع المؤسسات الدعوية وقامت بتغطية برامجها ونشرها وتوثيقها..

ثانيا: الكيانات الدعوية الأخرى العاملة في الساحة .

قامت المنظمات العاملة بجهود مشكورة في مواجهة التشيع نذكر من هذه المنظمات: جمعية الكتاب والسنة الخيرية، وقد امتاز نشاطهم بكثرة المناظرات مع الشيعة السودانيين، كما امتازت بكثرة توزيع النشرات والمطويات حول الشيعة، مع التركيز على ولاية نهر النيل ومنطقة شرق النيل بولاية الخرطوم[1]..

ومنظمة ذي النورين، وكان أبرز ما قامت به هو عقد مؤتمر علمي دولي تنادى له قادة الدعوة في أفريقيا، وامتاز ذلك المؤتمر بأن لمس جانبا لم ينتبه له كثير من أهل الدعوة حيث تناول فضل أهل البيت ومكانة الصحابة..

ومنظمة سبل السلام الخيرية العالمية، وكان أبرز ما قامت به هو كفالة عدد كبير من الدعاة المتخصصين في محاربة التشيع، كما شرعت في إقامة مركز للبحوث يعتني برصد ظواهر النشاط الرافضي في البلاد..

أما منظمة المشكاة الخيرية فغير البرامج الدعوية المعتادة، امتازت بامتلاك الآلة الإعلامية التي تتمتع بنسبة مشاهدة عالية داخل البلاد وخارجها..

ومنظمة إنسان الخيرية العالمية، التي استضافت عددا من المختصين من خارج البلاد، وقد امتاز عملها بالعناية بجانب التأهيل وإعداد الدعاة..

ومنظمة سبيل الرشاد الخيرية التي حرصت على التعاون مع الكيانات الدعوية، القائمة حيث قدمت دعما ماديا ولوجستيا، وظلت قاعاتها ومساجدها مسارح لكثير من الأنشطة التي قدمتها المنظمات الأخرى إضافة إلى ما يقوم به دعاة المنظمة نفسها..

([1]) أفادنا بهذه المعلومات الأستاذ أحمد رمضان أمين الدعوة بجمعية الكتاب والسنة..

ولا ننسى بل نشيد بجهود بعض شيوخ الصوفية في مواجهة الرافضة، حيث واظبوا على إصدار بيانات تحذرية من الشيعة، تتضمن معلومات عن عقائدهم وأفكارهم، كانت تلك البيانات توزع في حلقات المولد في أم درمان وغيره من الموالد..

وإن كان ثمة مأخذ على جهود مكافحة التشيع فهي في عدم التوثيق، فعلى كثرة البرامج التي تقدمها المؤسسات الدعوية؛ لكن هذه الجهود مبعثرة يلحظها المتابع، وعندما يطلبها الباحث لا يجد وثائق وإحصائيات تعينه على القراءة الكلية أو المقارنة، وللمفارقة نجد بعض المؤسسات تحصي وترصد النشاط الرافضي لكنها لا تعتني بتوثيق أعمالها بحيث يمكن الرجوع إليها واستقاء المعلومات عنها، وإن كنت استثني هنا الإخوة في جمعية الكتاب والسنة، حيث وجدتهم أفضل من غيرهم.

المطلب الثاني: جهود المؤسسات التعليمية.

شاركت بعض المؤسسات التعليمية في مواجهة المد الرافضي وتعاونت مع كثير من المنظمات الدعوية العاملة في السودان، ولعل أكبر المؤسسات التي اعتنت بهذا الأمر جامعة أفريقيا العالمية التي فتحت قاعاتها ومساجدها للعلماء والدعاة، وليس أدل على ذلك من تعاون إدارة الجامعة مع فعاليات هذا المؤتمر، ولذلك تم تخصيص حيز كبير من برامج الشيوخ لتقديم خطب جمعة ومحاضرات ودورات في مساجد الجامعة..

وكان للجامعة سابق جهود في مواجهة التشيع؛ فقد رفضت إدارة البروفيسور السماني (مدير الجامعة الأسبق) فتح قاعات الجامعة للملحق الثقافي الإيراني لتقديم برامج دعوية لطلاب الجامعة، وذهبت الإدارة الحالية لأبعد من ذلك حين أصدرت توجيهات بترحيل كل من يثبت انتماؤهم لهذه المذهب الدخيل على أفريقيا...

ومن هذه المؤسسات العلمية التي اعتنت بمكافحة التشيع كلية جبرة العلمية، والمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالكلاكلة، والمعهد العالي للدراسات العربية والإسلامية بالدلنج (جنوب كرفان)، ولا غرابة فهي مؤسسات معنية بإعداد الدعاة، وزاد معهد الدلنج على هذه المؤسسات بابتعاث طلابه في قوافل دعوية للمناطق التي يشتد فيها النشاط الرافضي في ولاية غرب كردفان مثل أبو زبد ولقاوة.

وقد أقام بعض الحادبين على الدعوة والتعليم، مركزا للبحوث والدراسات، يعتنى بدرجة كبيرة بدراسة المظاهر المختلفة للنشاط الرافضي بالسودان، وهو **[المركز الإسلامي للدراسات المقارنة]**، وقد أقام عدة دورات تدريبية للدعاة العاملين في مجاله وهو متميز عن غيره من المؤسسات بالتخصص في رصد النشاط الرافضي والتنصير..

المطلب الثالث: جهود الإعلام غير الحكومي

أبرز المؤسسات الإعلامية العاملة أو المنطلقة من السودان هي باقة قناة طيبة وقنوات أفريقيا، وقد شملت تغطيتها العالم كله، وقد خصصت قناة طيبة برنامجا أسبوعيا درجت على استضافة العلماء المختصين بالبرامج المتعلقة بالرافضة، وهو برنامج المكشاف، كما قامت القناة بتغطية معظم الفعاليات العلمية الكبيرة التي أقامتها الكيانات الأخرى...

ومن المؤسسات الإعلامية العاملة في هذا المجال قناة وإذاعة نور الفضائية، جدير بالذكر أن هذه المؤسسة هي ثمرة من ثمرات المؤتمر العلمي الأول الذي خصص لمعالجة تنامي النشاط الرافضي، وكان بعنوان: **الشيعة في السودان المهددات وسبل المواجهة**، فقد خصصت معظم حلقات برنامج ضيف نور لبيان الخطر الرافضي، وابتدأت القناة بتقديم برنامج عن فضائل الصحابة، كما قدمت حلقات عن جانب القدوة في حياة الصحابة، ونرجو أن تقوم إذاعة نور بإحياء فكرة برنامج خط أحمر، الذي كان مخصصا لعرض عقائد الرافضة واستعراض مظاهر وجودهم ونشاطهم بالسودان...

كما توجد قنوات وإذاعات أخرى لم نتحصل على إحصاءات أو أسماء برامج مخصصة للحديث عن الرافضة، مثل قناة الاستجابة، وإذاعة البصيرة، وإذاعة القرآن الكريم...

المبحث الرابع

الموازنة بين أسباب التشيع وجهود محاربته وآثارها

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: الموازنة بين الأسباب والجهود
المطلب الثاني: الموازنة بين الأسباب والآثار
المطلب الثالث: الموازنة بين الجهود والآثار

المطلب الأوَّل: الموازنة بين الأسباب والجهود.

عند النظر إلى أسباب انتشار التشيع في السودان نجدها تقوم على حقيقة واحدة رئيسية قد تختلف مظاهرها، هذه الحقيقة هي (الغفلة) الغفلة عن حقيقة الشيعة والتشيع، أو الغفلة عن مآلات موالاة الدولة الراعية للتشيع، أو الغفلة عن مخاطر مشروع تصدير الثورة، فقد بدأ التشيع يدب وسط النخب المثقفة والمتعلمة، ووسط الشباب والطلاب على حين غفلة من المجتمع، ومؤسسات الدولة، ولسنا نزعم أن هذه الغفلة واحدة في كل المستويات، فقد تكون ثمة تحركات متعمدة نحو الدولة الحاضنة للتشيع، تصحبها معرفة بما يقومون به سواء في السودان أو خارجه، بينما مكمن الغفلة في عواقب العلاقات الحميمة مع هذه الدولة الحاضنة...

وربما نجد بعض التحركات من بعض القادة الدينيين أو السياسيين تدفعهم المطامع الدنيوية، وتكمن الغفلة في غياب إدراك أثر ما تبذله الدولة الحاضنة للتشيع على الأتباع والأعوان، فبروتوكولات التعاون والتدريب والدعم غالبا ما يصحبها تغيير عقائد، وتشويه قناعات، أدت في بعض الأحيان لتمرد من صوبت نحوهم البرامج على قياداتهم التي اعتنت بهم أول الأمر وأوفدتهم لإيران وحلفائها من دول الشيعة فعادوا لبلادهم يحملون هم نشر مذهب غير مذهب مواطنيهم، وعقيدة غير عقيدة بلادهم..

وربما نجد بعض الاتجاهات والواجهات الإسلامية وبدافع الحماس للدين، تستجيب للخطاب الثوري الذي يدغدغ العواطف ويغيب النظرة المتعقلة، فيندفع بعض الشباب (غيرة) أو (حماسا)، نحو من يرفع الشعارات، فيقعون فرائس للاستقطاب الفكري والمذهبي الذي يتحرك بخبث خلف دوافع العواطف الجياشة..

يلاحظ المطلع على كتب التاريخ أن الغفلة عن هذه الفرقة هي السبب الرئيسي لانتشارها في العالم الإسلامي، فدولة العبيديين في شمال أفريقيا والشام والحجاز، بدأت صغيرة عن طريق داعية واحد في مناطق نائية وسط قبائل البربر، تغافلت عنه دولة الأغالبة لسنوات ثم تغلب عليهم وملك ما تحت أيديهم[1]، والصفويون في بلاد فارس والعراق تغافلت عنهم الدول المعاصرة لهم حتى تمكنوا من نشر مذهبهم فعم بلادا كان أكثر أهلها مسلمون سنة، عموما الغفلة والسكوت عن الرافضة مثله مثل التغافل عن النار في الهشيم، تترك فتنتشر حتى تقضي على الأخضر واليابس ولا ينفع بعد ذلك الندم على التفريط...

في المقابل نجد جهود مواجهة التشيع يغلب عليها الطابع العلمي، وإن لم تخل من الأسلوب الخطابي في بعض الأحيان، وإن كان ثمة سمات ملاحظات عليها فهي في تنامي المؤيدين وتزايدهم بمرور الوقت، فقد بدأت جهود مقاومة الرفض والتشيع غريبة اللسان على المجتمع الذي لم يكن يأبه لما يجري حوله، لأن الشيعة كعادتهم في كل زمان ومكان يلجأون للكتمان والسرية والتخفي، فإذا سمع العامي داعية يحذر من الرافضة استغرب مما يسمع، ولكن الفائدة هنا في مثل هذا المستغرب متى سمع من أحد شيئا من عقائد الرافضة ثارت حمية الدين فيه، واستذكر بعض ما سمعه من دعاة أهل السنة، لذلك نقول إن خطاب الدعوة في التحذير من الرافضة لم يذهب سدى وإنما احتضنه الشعب السوداني السني في وجدانه، وبنى به جدارا يحمي به عقيدته، ولا أدل على ذلك من الاستنكار الواسع من عامة الشعب السوداني من كتابات الصحفي الذي نشر بعض عقائد الرافضة في أم المؤمنين عائشة رضي الله، فرفض الشعب نقوله الغريبة ولم يقبلوا تبريراته ولا اعتذاراته..

وجميعنا يذكر رفض الشعب السوداني لما ردده النيل أبو قرون، وكان ذلك الرفض حافزا لمجمع الفقه الإسلامي لدعوته واستتابته، ولما حاول بعض المتعاطفين مع الرافضة تكوين فرقة غنائية باسم آل البيت استنكر

---

(1) لمزيد تفصيل في هذا الخصوص انظر: [كتاب افتتاح الدعوة] لقاضي القضاة والداعية الإسماعيلي النعمان بن محمد، الذي توفي في منتصف القرن الرابع الهجري حيث ذكر رحلة المدعو أبو عبد الله داعية الإسماعيلية الذي تنقل في البلدان متظاهرا بمظهر الناسك العابد، حتى احتضنته قبيلة كتامة بشمال أفريقيا وآوته، فعمل على بث عقائد الرافضة شيئا فشيئا، مستترا بالزهد والتصوف، وما زال يستميل العامة بحسن سمته، والعامة غافلون في حين كان العلماء يحذرون منه، وبعد سبع سنوات من الدعوة المبطنة استطاع تكوين جيش قوي عماده قبيلة كتامة البربرية، وخاض بهم معارك متواصلة، ومهد الطريق لأبي عبيد الله المهدي والذي هاجر إليه من السلمية بسوريا سرا، واستقر بجنوب دولة الجزائر المعروفة حاليا، فلما استتب الأمر لأبي عبد الله أرسل إلى عبيد الله، فأعلن الأخير دولته التي عرفت باسم الدولة الفاطمية، وتقبل بيعة الموالين والأتباع وتحرك بجيشه نحو مصر والشام والحجاز..

أهل السودان تلك التسمية لأن آل البيت ليس من شانهم الغناء والتخنث والتخفف، فاضطر المبادرون لتغيير اسم فرقتهم..

ولله الحمد والمنة ما زالت جهود مواجهة الرفض والتشيع تتزايد وتنمو، حتى شملت كل فئات المجتمع، فابتداء من العامة الذين تحركهم الحمية للدين، مرورا بالدعاة الذين يصدعون بكلمة الحق في كل المحافل، والعلماء الذين يحمون دين الأمة من كل شبهة، والجماعات التي تحرص على صلاح المجتمعات، والمؤسسات الدينية الرسمية التي هي الآن تعبير عن وجدان الأمة غيرة على الدين، وهمة في نشره والدفاع عنه، وتنتهي كل هذه المنظومة بتفاعل الدولة في أعلى مؤسساتها مع جهود المواجهة حرصا على بيضة الدين، وعقيدة الأمة..

نقول: إن سمة جهود مواجهة التشيع متزايدة متناغمة متكاملة يشترك فيها الرسمي والشعبي، كما يشترك فيها العالم والعامي، والأفراد والجماعات، وهذا كله من فضل الله على هذا الشعب، نسأل الله أن يديم عليه نعمة الإسلام والسنة..

المطلب الثاني: الموازنة بين الأسباب والآثار

السمة الرئيسية لأسباب انتشار التشيع كما قدمنا هي غفلة أهل السودان في لحظة من الزمان، وكان من آثارها وجود فئات تعتنق هذا المذهب الغريب وتدافع عنه وتدعو إليه، ولكن لأن كثيرا ممن ينتمون للتشيع ممن درسوا في الكليات العلمية والنظرية ولم يكونوا ممن درس العلوم الشرعية، كما لم تتح لأكثرهم فرصة مجالسة علماء يتلقون منهم علوم الشريعة، الشيء الذي جعل معلوماتهم الدينية ضعيفة، وبالتالي أضحت قدرتهم على الاستمرار أو الدعوة للتشيع والدفاع عنه بحجج شرعية ضعيفة الأثر محدودة التأثير، رغم الأموال الطائلة التي تنفق في مقابل هذه الدعوة الباطلة، اللهم إلا حديثا في نجوى يصرحون ببعض المفاهيم ويضمرون أخرى كما شأن الرافضة دائما...

في المقابل نجد آثار جهود المواجهة متنامية التأثير، متزايدة المستجيبين، وليس أدل على ذلك من تفاعل المجتمع والجماعات الدعوية العاملة مع المؤتمر العلمي الأول الذي عقدته جماعة أنصار السنة المحمدية قبل ثلاثة أعوام لدراسة مهددات التشيع وسبل مواجهته، ثم انتظمت بعده الفعاليات التي أكملت ما ابتدأناه وسدت الثغرات وقربت الخطوات، ووحدت الأمة في مواجهة هذا الخطر الماحق..

المطلب الثالث: الموازنة بين الجهود والآثار..

كما بينا في المطالب أعلاه فإن جهود مناهضة التشيع والرفض تتسم بتكامل الجهدين الرسمي والشعبي، بينما تتسم الآثار بالتنامي والتزايد، عليه فإن الثقة في الله كبيرة بأن تؤدي آثار جهود مكافحة التشيع إذا استمرت على وتيرتها الحالية، وصبرت وصابرت واتقت الله عز وجل فإن التشيع إلى زوال في السودان كله في القريب العاجل إن شاء الله، وذلك بعد توفر الشروط التالية:

١. إخلاص العاملين في الحقل الدعوي واحتساب الأجر من الله تعالى.
٢. التحلي بالصبر والمثابرة والاستمرار في البرامج العلمية والدعوية التي تحصن المجتمع وتفضح الرافضة.
٣. الدعوة بالحسنى والترفق بمن أصيبوا بلوثة التشيع، وفي نفس الوقت عدم مهادنة القائمين عليه الداعين له من القادة والمفكرين والمنظمين، كل ذلك في الإطار العلمي وحدود آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..
٤. استمرار التكامل في الجهود الرسمية والشعبية، وزيادة التعاون بين أهل الدعوة، ولنجعل الورقة التي قدمتها الجماعة في المؤتمر العلمي السابق بعنوان: **مجالات التعاون لمواجهة التشيع**؛ أساسا للتعاون بين جماعات الدعوة، ومنطلقا للقضاء على التشيع وآثاره..
٥. سد خلة المجتمعات الفقيرة التي يدخل إليها التشيع بهذا الباب..
٦. تفعيل دور الإذاعات الإقليمية في نشر المفاهيم الصحيحة عن الصحابة وأمهات المؤمنين، وتقديم الفتوى الصحيحة...

وإن كان ثمة مأخذ على آثار هذه الجهود المباركة، فهو تركيز كل الخطاب الدعوي على جانب تحصين المجتمع حتى لا ينتقلوا من السنة إلى الشيعة، ولكن الجهود العلمية والدعوية المصوبة لمن تشيعوا قليلة، اللهم إلا المناظرات التي تعقد هنا وهناك، غرضها الإفحام والكسر أكثر من الهداية للدين الحق، وليس أدل على ذلك من قلة من يعرفون بالتوبة عن التشيع والرجوع لظلال السنة الوارفة...

الخاتمة

لاحظنا أن السودان بلد سنيون أهله، معتدلون مواطنوه، لا مكان فيه لأفكار غريبة على سماحة الإسلام واعتدال ووسطية السنة، كما لاحظنا تنامي جهود محاربة التشيع وتقبل الشعب لها في حين تنزوي وتضعف النشاطات الرافضية..

وقد نبهنا إلى أن ذكرنا أن الغفلة هي السبب الرئيس الذي يساعد الرافضة على الانتشار والتمدد في ديار المسلمين، وذكرنا أن جهود مناهضة الرافضة الناجحة هي الجهود المتكاملة التي يتم فيها تجييش فعاليات المجتمع أفرادا وجماعات وحكومات، وشواهد التاريخ خير دليل، فدولة العبيديين الروافض، انقرضت ولم يعد لها وجود في أفريقيا بعد أن استمرت في الحكم أكثر من قرونين ونصف، وما ذلك -بعد توفيق الله وفضله- إلا بالتعاون المثمر بين العلماء والحكام، فقد حرص صلاح الدين الأيوبي رحمه الله على توثيق صلاته بالعلماء في الشام وفلسطين ومصر، قبل أن يتولى الولاية، جالسهم وسمع منهم وحضر دروسهم، حتى تشبع بمحبة السنة وأهلها، فلما ولاه الله ولاية مصر والشام تخلص من الرافضة وأحل محلهم الدولة العباسية السنة، وقد سبقه على هذا العمل الجليل ولاة دولة آل زنكي في الشام، وأتم صلاح الدين ما بدأوه ونصره الله على الرافضة والصليبين في آن واحد والحمد لله الذي أعز الإسلام بالكتاب الهادي والحديد الناصر..

في ختام هذه الورقة أتقدم بالتوصيات التالية التي أرجو أن تكون هادية معينة لاستقامة أمر الدعوة على الجادة حتى يجني المجتمع ثمار الجهود المباركة:

أولا: على الجماعات الدعوية الحرص على تنسيق جهودها زيادة على ما هو جار الآن..

ثانيا: انتهاج العلمية في التخطيط للبرامج الدعوية، وحفظها وأرشفتها ونشرها..

ثالثا: تخصيص برامج لمن وقعوا في براثن التشيع بالحسنى وعدم تركهم للشيطان ومضلات الفتن..

رابعا: إنشاء مراكز بحوث تعنى برصد الظواهر والأسباب التي تؤدي للشيع، لتقديم المشورة والمقترحات الدافعة لتطوير العمل وتحسين وسائل الدعوة..

خامسا: لا بد من الإشادة بالجهات الرسمية التي ما زالت تتعاون على الخير وتساند أهل الدعوة، ونطمع في المزيد من الجهود لمواجهة كل الأفكار والشبهات والشهوات التي تهدد المجتمع السوداني وقد تصرفه عن الجادة إلى مهاوي الردى والرذيلة..

والحمد لله على التمام

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.